أسْبَاب
سَلامة القُلوب

محاضرة

للشّيخ الدّكتور

عصام السناني - حفظه الله تعالىٰ-

مع تعليق معالي الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -حفظه الله تعالىٰ-

أعد هٰذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد..

فالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يجعلني وإياكم ممن يقولون بالحق وبه يعدلون، وأن يجعلني وإياكم ممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

أيّها الأحبة ..

هٰذا الموضوع هو موضوعٌ مهم جدًّا، به نجاة النّاس يوم القيامة، به رضا الله -عزّ وجل- عن عباده، ألا وهو **سلامة القلوب**.

لقد بعث الله -عزّ وجل- نبيّه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأوحىٰ إليه الكتاب والحكمة لأجل تزكية النفوس؛ قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[1] وكان نبيِّنا ونبيكم صلوات الله وسلامه عليه، كما روىٰ مسلم في صحيحه يدعو فيقول: «**اللهم آت نفسي تقواها، زكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها**» فتزكية النّفوس هي التي بُعث لأجلها الرّسل، وهٰذه التّزكية

---

(١) سورة: الجمعة الآية (٠٢).

مدارها علىٰ هـٰذا الصَّدر الذي عنونت المحاضرة به وهي سلامة القلوب، هـٰذا القلب الذي خلقه الله في الصدر عليه مدار الصلاح والفساد، عليه مدار النجاح والخسار، ولذلك يقول الله -عز وجل- في كتابه مبيِّنا علىٰ لسان أحد أنبيائه الكرام حينما دعا ربه -عز وجل- بدعوات عظيمات فقال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1]

إذن لا ينفعك -يا عبد الله- يوم القيامة إلا إذا أقبلت علىٰ ربك بقلب سليم، فهلّا سألنا ما معنىٰ هـٰذا القلب السليم الذي استثناه إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- في دعائه لربه؟

ذكر العلماء في كتبهم وشروحهم ما معنىٰ سلامة القلب، فهـٰذا ابن القيم -رحمه الله- الذي هو أحد أطباء النفوس

---

(١) سورة: الشعراء الآيات (٨٧-٨٩).

يقول -رحمه الله-: القلب السليم هو الذي سلم من الآفات التي تعتلي القلوب المريضة من مرض الشبهة التي توجب اتباع الظن، ومرض الشهوة التي توجب اتباع ما تهوىٰ الأنفس، فمن سلم من هٰذا وهٰذا فهو القلب السليم.

إذن فالقلب الذي سلم من الآفات القلب الذي سلم من مرض الشبهات والشهوات هو القلب السليم وفصل رحمه الله في موطن آخر قال: القلب السليم هو الذي سلم من الشرك وهو أعظم الذنوب والذي لا صلاح لقلب امرئ معه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[1] هو الذي سلم من الشرك -أيضا البدع- والغل والحسد والحقد والشح والكبر وحب الدنيا والرئاسة.

هكذا يقول رحمه الله تعالىٰ مفسرا علىٰ سبيل البيان ما

---

(١) سورة: النساء الآية (٤٨ و١١٦).

معنىٰ القلب السليم فإذا سلم قلبك يا عبد الله من مرض الشبهة، ومن مرض الشهوة، وسلم من الآفات التي هي الشرك والبدع والإسرار علىٰ كبائر الذنوب صار قلبك بذلك سليمًا.

يا إخوان القلب أمره عظيم بما أنّ مدار النجاح والفلاح ومدار السعادة والخسارة علىٰ هٰذا القلب فقد جاءت النصوص الشرعية ببيان عظيم مكانته وبوجوب العناية به، إذْ لا يصح عمل امرئ دون أن يصحِّح قلبه، فعلىٰ سبيل المثال القلب هو موضع نظر الرب -عز وجل- ثبت في صحيح مسلم عن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم ولا إلىٰ أجسادكم ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم**» إذن المقصود بالنظر هنا هو النظر المبني علىٰ القبول، فالله لا ينظر إلىٰ جمال صورتك، ولا إلىٰ جسدك في

ظاهره، ولا ينظر إلىٰ منصبك، ولا ينظر إلىٰ جاهك، ولا ينظر إلىٰ كثرة مالك، إنما ينظر إلىٰ هـٰذا القلب وإلىٰ آثار هـٰذا القلب من الأعمال.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وذكر هـٰذا الحديث الذي فيه موضع نظر الرب من العبد يقول رحمه الله: فعُلم أن الجمال الظاهر في الصور والثياب لا ينظر الله إليه، وإنما ينظر إلىٰ القلوب والأعمال، فإنْ كان الظاهر مزيَّنا مجمَّلا بحال الباطن أحبه الله، وإن كان الظاهر مقبحا مدنسا بقبح الباطن أبغضه الله.

فلابد أن يكون الباطن سليما فإذا صلح الباطن صلح الظاهر.

كذلك ذاكم الحديث الذي سمعناه أنّ مدار صلاح الأعمال وفسادها هو كذلك علىٰ هـٰذا القلب هـٰذا العضو

هٰذا العضو **الخفي**، اليسير، هٰذا العضو عليه مدار صلاح الأعمال وفسادها، ثبت في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « **ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» هٰذا كلام طبيب القلوب هٰذا كلام إمام النبيين وكلام أعلم الخلق برب العالمين، يخبر أن مدار الصلاح والفساد هو علىٰ هٰذا القلب، فإذا صلح قلبك يا عبد الله فاعلم أنّ سائر أعمالك ستصلح وإلا فبالعكس، ستفسد بفساده.

ولذلك يقول سفيان ابن عيينة -رحمه الله- كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عند هٰذا الحديث ذكر وسفيان أحد الأئمة رحمه الله قال: إن من مضىٰ من العلماء كان يكتب بعضهم إلىٰ بعض -يناصح بعضهم بعضا- يوصي بعضهم بعضا

بالخير، فإن الإنسان كثير بإخوانه فذكر وصايا ومنها كانوا يكتبون أن من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر هٰذا القول: فعلم أنه إذا صلح القلب بالإيمان صلح الظاهر بالإسلام.

وانظر -يا أخي- إلىٰ هذه العبارة العظيمة التي ذكرها العلامة ابن القيم وهي تدور في فلك هٰذا الحديث ومعناه، وأن مدار الصّلاح علىٰ هٰذا القلب الذي تحمله بين جنبيك، وربما أهملت علاجه ومتابعته، يقول ابن القيم رحمه الله: ولذا كان الاهتمام بتصحيحه -أي القلب- وتسديده أولىٰ ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسّك به الناسكون، ولما علم عدو الله إبليس أن المدار علىٰ القلب وأن الاعتماد عليه أجلب عليه بالوساوس، وأقبل عليه بالشبهات.

فـإذن إذا علمـت أنّ الصـلاح والفسـاد عليـه فإنـك توجِّـه نفسـك، وتوجـه كليتـك لإصـلاح هـٰذا القلـب، كمـا قـال ابـن القيم رحمه الله: أهم ما ينسك به الناسكون وأهـم مـا يعتمـد عليـه السـالكون هـو عـلاج هـٰذا القلـب؛ النظـر في إصـلاحه، لماذا؟ لأنه ينبني عليه صلاح سائر الأعمال.

ثـم اسـمع إلـىٰ هـٰذا الحـديث الـذي رواه الإمـام أحمـد في مسـنده أنّ النبـي –عَلَيْـهِ الصَّـلاَةُ وَالسَّـلاَمُ– قـال: «**لا يسـتقيم إيمان عبد حتىٰ يستقيم قلبه**»، وهـٰذا يدور فيما ذكرناه، كما أن إذا صلحت هـٰذه المضغة صلح الجسد فكذلك يقول النبـي – عَلَيْـهِ الصَّـلاَةُ وَالسَّـلاَمُ–: لا يسـتقيم إيمانـك حتـىٰ يسـتقيم قلبك. معنىٰ ذلك كما قال العلماء ومنهم الحافظ ابـن رجـب رحمـه الله: إن معنـىٰ اسـتقامة الإيمـان أي اسـتقامة أعمـال الجوارح، فلا يمكن أن تستقيم أعمال الجوارح حتىٰ يستقيم

القلب، وكيف يستقيم القلب يقول ابن رجب رحمه الله: معنىٰ استقامة القلب أن يكون ممتلئا من محبة الله تعالىٰ ومحبة طاعته وكراهية معصيته، فإذا صار القلب تقيًّا انطلقت الجوارح بالأعمال الصالحة، وإذا خلا هٰذا القلب من التقوىٰ انطلقت في الأعمال السيئة.

وفي سلامة قلب النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حيث كان هو الإمام والقدوة لأمته في تعامله وبيان سلامة قلبه مع ربه ومع خلق الله -عز وجل-، والله عز وجل يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1] لقد كان نبيكم -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أحرص الناس علىٰ سلامة قلبه، لم يكن يقول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما يقول بعض الناس إذا أمرته بخير

(١) سورة: الأحزاب الآية (٢١).

وقلت له: اتق الله. قال: أنا قد اتقيت الله قبل أن أراك أو أرىٰ وجهك. الله عز وجل يقول لنبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[1] لأنه ليس أحد علىٰ وجه الأرض حتىٰ الأنبياء يستغني عن الهداية، فمادام أن نَفَسُك يجري في عروقك وفي رئتيك فأنت لا تستغني عن هداية الله، ولذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله في بيان عظم حاجة المسلم للهداية: أنظر كيف أن الله يقول لنبيه عند الفتح بعد هٰذا الجهاد العظيم يقول في سورة الفتح ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢﴾[2] كيف وقد هداه الله قبلا؟! كيف وقد أنزل عليه الوحي؟ كيف وقد جاهد في الله حق الجهاد؟ كيف وقد قاربت حياة هٰذا النبي الكريم علىٰ النهاية؟ أي هداية؟ قال: هداية الوصول إلىٰ الكمال؛ لأن

---

(١) سورة: الأحزاب الآية (٠١).

(٢) سورة: الفتح الآية (٠٢).

الهداية درجات لا يزال الإنسان ينتقل من هداية إلىٰ هداية، ولذلك أمرنا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأن ندعو له مع كل أذان «**وآت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته**» فهو بحاجة لهداية الله عز وجل: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾.

ولذا كان يقول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول في دعائه في صلاته كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه الحاكم وابن حبان يقول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اللهم إني أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا** » الحديث فكان -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يسأل الله سلامة القلب ، فهل سألنا ذلك في صلاتنا وهل اعتنينا بدعاء الله بسلامة القلوب.

أُنظر إلىٰ حديث عائشة كما في الترمذي وصححه حينما وصفت النّبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- حين ضربه قومه

فأدموه وهو يمسح الدَّم عن وجهه، فذكر في دعائه أربع كلمات من مقام الإحسان في مقابلة إساءتهم العظيمة:

الأمر الأول: أنه عفا عنهم، وهٰذا من أعظم مقامات الإحسان.

الأمر الثاني: أنه استغفر لهم حينما قال: «**اللهم اغفر لقومي**» وهٰذا أعلىٰ.

الأمر الثالث: أنه اعتذر لهم فقال:«**فإنهم لا يعلمون**».

الأمر الرابع: حيث شفع لهم قال: «**إنهم قومي**» قال ابن القيم كما يتحنن الإنسان إلىٰ رجل فيقول: إنه أخي وابن أخي. فكأنه يقول لربه: إن هؤلاء قومي.

فدعاء جمع فيه النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أربع مقامات من مقام الإحسان، في مقابل ماذا؟ في مقابل الضرب وإسالة الدم؛ بل في الصحيحين كذلك من حديث عائشة لما

سألته -رَضِيَ اللهُ عَنْهُا- فقالت: يا رسول الله، هل من يوم أشد عليك من يوم أحد، فذكر واقعة عند العقبة حينما دعا بعض قومه فضربوه وأدموه «**فانطلقت وأنا مهموم فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب**» يقول: «فإذا سحابة قد أضلتني فنظرت فإذا جبريل فقال: يا محمد إن الله سمع قولك لقومك وكلامك لقومك وردهم عليك، وإن الله بعث إليك ملك الجبال فتأمره بما تشاء»، فسلم ملك الجبال علىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسلم وقال: مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الجبلين فعلت. فماذا قال النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قال: «**لا ولكن أرجوا يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا**» أخذته الرحمة بقومه مع ضربهم وإدمائهم له وعدائهم وكلامهم الفاحش، ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند ذكره لهٰذا الحديث قال إن

النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان رحمة للعالمين حتىٰ لأعدائه، حتىٰ لمن كذبه فهو في حقهم رحمة أكثر من غيره صلوات الله وسلامه عليه.

ومثله كذلك حينما كان يحاصر الطائف فجاءه أصحابه -والحديث في الترمذي- فقالوا: يا رسول الله إن نبل ثقيف قد أدمتنا أو آذتنا فادعوا الله عليهم، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم اهد ثقيفًا**» ولم يدع عليهم -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أيها الإخوة..

هٰذه المواقف تدلّ علىٰ هدي النّبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعلىٰ سلامة صدر النّبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأنه كان خلقه القرآن وكان يدعوا ربه أن يجعل قلبه سليما، فكان كذلك، لم يكن صخّابا ولم يكن فاحشا، ولا يجزي بالسيئة السيئة؛ ولكن كما قالت عائشة: "كان يعفو ويصفح".

وهكذا يجب علىٰ أمته أن يفعلوا..

أيها الإخوة..

أنتقل إلىٰ مسألة مهمة بعد أن بيّنا معنىٰ سلامة الصدر، وجئنا بشيء من هدي النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هٰذا الأمر، فما هو الفضل المترتِّب علىٰ سلامة القلوب والصدور؛ لأن الإنسان إذا عرف فضل الشيء سعىٰ في تحصيله، وهناك نصوص كثيرة عنه في الكتاب والسنة من فعل كذا فله كذا، لماذا؟ لأن الإنسان يرغبه الله ويرغبه النّبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في طلب ثواب هٰذا العمل.

ولذلك أيها الإخوة سلامة الصدور وسلامة القلب هي وصف أهل الإيمان، أعلىٰ وصف أهل الإيمان هي سلامة صدورهم وقلوبهم فيما بينهم، ولذلك الله -عزّ وجلّ- وصف الأنصار الذين هم عِلية أهل الإيمان؛ بل إن النبي -

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جعل حبهم إيمان، جعله إيمانا وجعل بغضهم نفاقا وصفهم الله بقوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1]

إذن فوصف هؤلاء المؤمنين بأنهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ يعني لا يجدون في صدورهم غلًّا ولا حسدًا ولا غشًّا مع الأثرة التي تكون عليهم إن وجدت.

ثم وصف الله -عز وجل- من جاء بعدهم وكانوا علىٰ طريقهم؛ لأن المسلم إذا أراد النجاة عليه أن يسلك طريق هؤلاء كما قال الله عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

---

(١) سورة: الحشر الآية (٠٩).

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[١] فإذا أردت رضا الله فاتّبع هؤلاء بإحسان، يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[٢] سلكوا سبيل نبيهم يسألون ربهم ألا يجعل في قلوبهم غلا لهؤلاء المؤمنين، لماذا؟ لأنهم علموا أن أوثق عرىٰ الإيمان هو الحب في الله والبغض في الله، وأنّ المسلم عليه أن يحبّ أخاه المسلم وأن يحب له ما يحب لنفسه، ولذلك لا يبلغ المسلم حقيقة الإيمان حتىٰ يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه، كما قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-في الحديث الذي في الصحيحين: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم**

---

(١) سورة: التوبة الآية (١٠٠).

(٢) سورة: الحشر الآية (١٠).

حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه» يقول ابن القيم -رحمه الله- وذكر هٰذا: أن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان النافع حتىٰ يحبّ لجميع إخوانه ما يحبّ لنفسه بتحقيق هٰذا الشرط الذي قد وجد في هٰذا الحديث.

يقول ابن رجب-رحمه الله- وذكر هٰذا الحديث: وهٰذا ذكرته لأنه وصف حقيقة الإيمان وكمال الإيمان لمن أردا أن ينال حقيقة وكمال الإيمان، وهٰذا يدلّ علىٰ أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه ما يريد لنفسه من الخير، وهٰذا إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد.

ثم ذكر -رحمه الله- عبارات جميلة عن بعض السلف قال: قال الفضيل بن عياض -رحمه الله- ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة نوافل الصلاة والصيام، إنما أدرك من أدرك

بسخاء النفوس وسلامة الصدور والنصح للأمة.

ويقول مالك بم دينار رحمه الله سألت أبا بشر عن من قبلنا، ومن سلف، فقال رحمه الله: كانوا يعملون قليلا ويؤجرون كثيرا، فقلت لم هٰذا؟ قال: لسلامة صدورهم.

فإذن -أيها الإخوة- سلامة القلب صفة أهل الإيمان، سلامة القلب لا يبلغ الإنسان حقيقة الإيمان كما سمعتم في هٰذه النصوص في القرآن والسنة حتىٰ يكون قلبه سليمًا، سليما في ما يتعلق بحق ربِّه وفي حق إخوانه يعطي كل ذي حق حقه.

هنا أمر مهم جدا يبين فضل سلامة القلوب والصدور أن سليم الصدر من أفضل النّاس، جاءت النصوص عن النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أنه لما سُئل عن أفضل النّاس ذكر أن أفضلهم أسلمهم صدرًا وقلبا، وذلك في الحديث الذي رواه

ابن ماجه بإسناد صحيح أنهم سألوا النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يا رسول الله من أفضل الناس؟ فقال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**» فقالوا: يا رسول الله هٰذا صدوق اللسان عرفناه فما معنىٰ مخموم القلب؟ فقال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**» تقيّ نقي لا إثم فيه، لا بغي، لا غل، لا حسد، هٰذا هو أفضل الناس بنطق حديث النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ما معنىٰ مخموم القلب؟ لما ذكر العلماء هٰذا الحديث في كتب الحديث شرحوه فقالوا: معنىٰ مخموم القلب أي الخالي من الغل -كما في الحديث- قالوا: خممتَ البيت أي كنستَ البيت، وهٰذا الكنس يكون متتاليا متتابعا يعتني به، فكأن هٰذا الرجل حريص علىٰ قلبه يتابعه ينظر بما في هذا

القلب لا يتركه لأمراض الشبهات والشهوات يعالجه بالقرآن يعالجه بسؤال أهل العلم يعالجه بالعبادة، يعالجه بمراقبة الله عز وجل.

ولذا يا عباد الله، يا أيها الإخوة عكس هٰذا الرجل الذي هو أفضل الناس صورة مقابلة حينما جاء في الحديث الصحيح عن النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-الذي جاء في صحيح مسلم قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تعرض الأعمال علىٰ الله عز وجل في كل اثنين وخميس، فيغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرئًا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتىٰ يصطلحا. هٰذا الرجل صار أفضل الناس بسلامة قلبه لا إثم لا بغي لا حسد لا غل.

أما هٰذا الرجل يُغفر لجميع الناس ما عدا أهل الشرك إلا هو، بسبب أن هٰذا القلب كان مليئا بالغل، ولذلك جاء في

بعض الأحاديث إلا مشرك ومشاحن، فدل علىٰ الشحناء من طبيعة هٰذا القلب، لا يجزي بالحسنة السيئة بل بالسيئة السيئة لا يتجاوز ولا يعفو ولذلك جوزي بأن لا يغفر له.

يا من تصلّون وتحرصون علىٰ الصلاة...

يا من تقومون وتحرصون علىٰ القيام وتقرؤون القرآن..

إن القرآن يدعوكم لسلامة القلوب، يدعوكم لإصلاح القلوب، وقد تقدم لكم أن كثيرًا من السلف كانوا يجازون بأعمال قلوبهم أضعاف كثير من الناس الذين يعملون الأعمال الكثيرة؛ لكنهم يحسدون يغشون يكذبون، فربما صارت أعمالهم هباءً منثورا، وأنتم تعلمون أن الأعمال تحبط، وتقرؤون في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[1] وليس هٰذا في بعض الأعمال

---

(١) سورة: الفرقان الآية (٢٣).

خاصا بأهل الكفر، فكم من مسلم يحبط عمله بكلمة لا يلقي لها بالا، أرأيتم قوله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديث الذي رواه مسلم عن النّبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، ألا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**» يقسم النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قسما عظيما بربه الذي بيده نفسه أنه لا يدخل الجنّة إلا نفس مؤمنة، ولا يكون الإنسان مؤمنا إلا بمحبة أخيه، وأن من أعظم وسائل المحبة، فيما بينهم هو إفشاء السّلام بينهم ولا يكون ذلك إلا من قلب مخموم قلب سليم يتجاوز ويعفو ويصفح.

روىٰ الإمام مسلم عن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم كأفئدة الطّير**»، ما معنىٰ هٰذا

الحديث؟ منكم من سمع هـٰذا الحديث؛ لكنه قد لا يعرف معناه، ومنكم من لم يسمعه فعليه أن يعلم أن هـٰذا الحديث يدل علىٰ أن سلامة القلب من أعظم أسباب الجنة «**يدخل الجنة أقوام قلوبهم كأفئدة الطير**» العلماء رحمهم الله منهم من قال: إن هـٰذا الحديث معناه أن قلوبهم في خشية الله كخشية الطير فهم يخشون الله حق الخشية، ومنهم من قال: إن قلوبهم رقيقة ضعيفة كما قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- عن أهل اليمن «**أرق أفئدة**».

ولكن الظاهر أن معنىٰ الحديث أن هؤلاء الناس في قلوبهم من السلامة والغفلة ما ليس عند غيرهم، فهم لا يحسنون أمور الدنيا، وقد لا يفهمون كثيرا من الأمور، ولذلك هم لا يحملون في قلوبهم، ولا يحسدون النّاس، ولا يحملون البغي عليهم بسبب سلامة القلوب، ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه

الإمام مسلم والبخاري؛ لكن هٰذا اللفظ لفظ مسلم في محاجة الجنة والنار حينما تحاجت الجنة والنار فقالت الجنة كما في لفظ مسلم: «**مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطتهم وغِرّتهم فقال الله عز وجل لها** -أي للجنة-: **أنت رحمتي أرحم بك من أشاء**» يقول النووي رحمه الله: قوله «**غرتهم**» أي الغافلون البله الذين لا يحسنون كثيرا من أمور الدنيا، لا يعافسون الدنيا مع الناس إذا عافسوا لا يحملون في قلوبهم علىٰ الناس، يحسنون الظن بهم، وتجد بعض الناس يقول هٰذا رجل طيب القلب سليم القلب.

إذن سلامة القلب من أعظم أسباب دخول الجنة، ولكن سلامة القلب علىٰ نوعين:

قد تكون سلامةً بدون إدراك -كما في هٰذا الحديث- قد لا يدرك كثيرا من الأمور حتىٰ يحمل.

لٰكن هناك نوع من الناس يدرك الأمور ويعرف مقاصدها ومراميها؛ ولكنه يتجاوز ويعفو ويصفح، وهٰذا المقام هو أعظم من المقام الأول، وهٰذا كان عليه النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، فكان يحتمل الأذىٰ مع معرفته، ويصبر علىٰ الناس ومع ذلك كما قالت عائشة: (لا يجزي السيئة، السيئة).

أيها الإخوة..

إذن في هٰذه المسألة المهمة بيان فضل هٰذا الأمر.

دعونا نختم هٰذه الكلمة بأمر مهم، و الموضوع أيها الإخوة متشعب وهناك أدلة كثيرة جدا لمن تتبعها لبيان سلامة القلوب وأسبابها، وأسباب فساد القلوب؛ ولكن المهم هنا هي الإشارة والتّذكير فإنّ الله عز وجل يقول: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

---

(١) سورة: الذاريات الآية (٥٥).

أنا سأذكر جماع سلامة القلب وسأذكر جماعَ فساد القلب بعبارات نبوية يقيس المسلم عليها.

فما أسباب سلامة القلب؟

هناك أمر كلي وأمر تفصيلي:

فأما الأمر الكلي فهو النصيحة، النصيحة من أعظم أسباب سلامة القلوب، أن يكون القلب ناصحا، ولذلك النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- كان يبايع أصحابه كما في حديث جرير -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في الصحيحين: بايعت رسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- علىٰ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. وفي حديث تميم الداري الذي رواه مسلم قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الدين النصيحة، الدين النصيحة» قالوا: يا رسول الله لمن ؟ الصحابة يسألون نبيهم حينما قال: «الدين النصيحة» ومعنىٰ أن الدين النصيحة ليس أن الدين كله

نصيحة، وإنما النصيحة جزء من الدين لٰكن كما قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- الحج عرفة فهو ركن من أركانه وأس من أسس الدين «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»

ما تعريف النصيحة؟

العلماء يقولون النصيحة هي بذل النصح للمنصوح يعني كما أنك تنصح لنفسك إذا أردت الخير تنصحه لأخيك؛ لكن النصيحة لله معناها هو إخلاص العبادة لله، توحيد الله عز وجل، نفي الشريك عنه، ثلاثة أمور مهمة ينبني عليها جميع أمور العبادة: الإقرار بألوهيته، نفي الشريك عنه، إخلاص العبادة لله.

أما النصيحة لكتاب الله فهو الاعتقاد بأنه كلام الله غير مخلوق منزل، والإيمان به والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه.

أما النصيحة لرسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو الإيمان بنبوته وطاعته وبذل النصيحة في طاعته في أمره ونهيه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أما النصيحة لأئمة المسلمين فهي في طاعتهم في المعروف وتأليف القلوب عليهم، والدعاء لهم وإعانتهم وإرشادهم إلىٰ خيرهم وخير رعيتهم.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهو بذل النّصح في إرشادهم في أمور دينهم ودنياهم.

ولذا يا أخي ترىٰ أنّ هـٰذا الحديث وهو النصيحة جمع سلامة القلب للدنيا والآخرة؛ يعني هو الإخلاص لله والمتابعة ويدخل فيه النصيحة لله ولكتابه ولرسوله.

لزوم الجماعة ويدخل فيه النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم.

فمن جمع بين هذين الأمرين وهو الإخلاص لله والمتابعة ثم لزوم الجماعة حصل له النصح بهٰذا الحديث.

ولذلك أذكر لكم حديثا عجيبا يبيِّن هٰذا رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح أن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم:**

١- إخلاص العمل لله.

٢- ونصيحة أئمة المسلمين.

٣- وملازمة جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»

أنظر ماذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في تفسير هٰذا الحديث؛ لأن هٰذا الحديث طبِّقه علىٰ نفسك [ولا تخرج من المسجد] إلا وأن تنظر هل حققت هٰذه الأمور الثلاثة التي ذكر النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-أنها إذا تحققت في قلب امرئ مسلم لا يحمل غلا، لا يحمل حسدا، لا يحمل غشا

يقول ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: هٰذه الثلاثة تنفي الغل والغش، وهو فساد القلب وسخائمه، فالمخلص لله إخلاصه يمنع غل قلبه، ويخرجه ويزيله جملة؛ لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلىٰ مرضاة ربه، فلم يبق فيه موضع للغل والغش كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1] وقال رحمه الله: ومناصحة أئمة المسلمين، قال: هٰذا أيضا مناف للغل والغش، فإن النصيحة لا تجامع الغل إذ هي ضده فمن نصح الأمة والأئمة فقد برئ من الغل. وقوله: «ولزوم جماعتهم» قال: هٰذا أيضا مما يطهر القلب من الغل والغش، فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسره ما يسرهم،

---

(١) سورة: يوسف الآية (٢٤).

وهـٰذا بخلاف من انحاز عنهم، واشتغل بالطعن عليهم، والعيب والذم لهم.

أيّها الإخوة.. فهـٰذا الحديث جماع سلامة القلب النصيحة، ومعنىٰ بيان النصيحة في هـٰذا الحديث الذي اشتمل هـٰذه الأمور الثلاث الذي بيّن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن القلب الذي يشتمل عليها لا يحمل الغل تجاه ربه بالإخلاص، وتجاه ولاة أمره بالنصيحة، وتجاه جماعته من المسلمين بعدم مفارقتهم والإحاطة بهم. هذا الأمر الكلي.

الأمر التفصيلي باختصار الذي يكون به صلاح القلوب بعد بيان النصيحة، الأمور في القرآن كثيرة التي فيها أسباب سلامة الصدر؛ لكن أذكر أعظمها وأشدها ممّا لا يستطيع أكثرنا وربما لا يستطيعه إلا أولو العزم؛ لكن علىٰ المسلم أن يوطِّن نفسه عليها: منها العفو، ومنها دفع السيئة بالحسنة،

ومنها السعي بالإصلاح.

الأمر الأول الذي فيه صلاح قلبي وصلاح قلبك يا عبد الله العفو عن الناس، يقول ربك -عز وجل- في كتابه مخاطبا نبيه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[1] هٰذه الآية جمعت سلامة القلب لمن أرادها، معنىٰ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي خذ ما تيسر من أخلاق الناس، خذ ما تيسر مما يأتي من الناس، ثم تجاوز عما يحصل في أخلاقهم من التقصير، ولا تحقق وتشدد فيما كان وراء ذلك، وقد تقدم لكم ما ذكرناه عن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أنه كان يعفو وذكرنا الأمثلة علىٰ ذلك، فتفسيرها وقع في فعل النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- ويكفيك ما ذكرناه لكم حينما ضربه قومه فأدموه وأسالوا الدم وهو يقول: «**اللهم اغفر لقومي**

---

(١) سورة: الأعراف الآية (١٩٩).

فإنهم لا يعلمون» فذكر ابن القيم أنه جمع في هٰذا أربع مقامات من مقامات الإحسان.

الأمر الثاني أنك تدفع السيئة بالحسنة، وهٰذا قد لا يستطيعه كثير من الناس، نعم أجاز الله لك أن تجزي بالسيئة السيئة بدون بغي؛ لكن إذا أردت سلامة القلب وأردت سلامة الصدر فتجاوزه إلىٰ أخلاق الأنبياء وهو أن تجزي السيئة بالحسنة قال سبحانه: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾[1] انظروا إلىٰ ما فعله النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- بعد فتح مكة حينما قسم غنائم هوازن، أخذ الأموال والغنائم وأعطاها من أعطاها المؤلفة قلوبهم، أعطاها بعض المسلمين حديثي الإسلام، وبعض الكفرة الذين يتألفهم، ومنع الأنصار الذين سيوفهم تقطر من

---

(١) سورة: فصلت الآية (٣٤).

دماء الكفار وبهم قام الإسلام وجاهدوا في الله حق الجهاد لم يعطهم شيئا، أعطىٰ هؤلاء الكفرة يتألّفهم وأعطىٰ من أسلم حديثا فقال للأنصار: «**أكِلكم إلىٰ إيمانكم ألا ترضون أن ينصرف الناس بالشاة والبعير وتنصرفوا برسول الله؟**» فرضوا بذلك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- أنظر إلىٰ صفوان بن أمية -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-وكان كافرا كما روىٰ مسلم أعطاه النبي مائة ثم مائة يقول: أعطاني النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان أبغض الناس إليّ فلما أعطاني صار أحب الناس إليّ.

إذن الإحسان إلىٰ الناس يقلب إساءتهم إحسانا، أكثر الناس اليوم -ونحن منهم نسأل الله العافية- ربما لا نجزي الناس بالإحسان وإن أساؤوا لكن هل جربنا يوما أن نحسن إلىٰ من أساء ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ

عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[1] يقول النّبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- لبعض أبناء عمومته في فتح مكة وكان قد فعل به ما فعل فقال: «**اذهبوا.. أنتم الطلقاء**» مع أنه لما ذكر بيتا من الأبيات يقول النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لهٰذا الرجل: أنت طردتني كل مطرد يعني ما تركت بابا إلا وسلكته لطردي من مكة وحربي، ومع ذلك عفا النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- عنه، ثم بعد ذلك لا يكتفي بالعفو وأن تجزي بالسيئة الحسنة؛ بل تسعىٰ للإصلاح، كما قال الله عز وجل: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾[2] يقول الله عز وجل: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ

---

(١) سورة: فصلت الآية (٣٤).

(٢) سورة: الأنفال الآية (٠١).

مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾[1] أخبر النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أن مما يفضل علىٰ كثير من الصلاة والقيام هو إصلاح ذات البين، هل سعينا إلىٰ الإصلاح ، بعض الناس اليوم يفرح بالغيبة والنميمة، يفرح بأن يسعىٰ في إفساد سمعة الناس، **وتخبيب** النّاس إما المرأة علىٰ زوجها، أو الأخ علىٰ أخيه، أو المسؤول عن المسؤول..

الواجب علىٰ المسلم أن يسعىٰ بالإصلاح حتىٰ لو وجد الخطأ من أحد الناس فإنك تستر العيب ولا تتبع العورة، فإن من يتبع عورات المسلمين يوشك الله أن يتبعه في بيته حتىٰ يفضحه، لا، الله عز وجل يقول: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ ﴾ وربما بعضهم باغ لأنهم من أهل الإيمان قال:

---

(١) سورة: النساء الآية (١٠٤)

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ ﴾[1]،

لابد من الإصلاح لا بد من إزالة الكسر وجبر الخاطر إن استطعنا بالتي هي أحسن فهو الأحسن، وإلا من كان بيده السلطة عليه أن يزيل ما يكون في القلوب ويجمع الناس؛ لأن تأليف القلوب من فرائض الإسلام، يقول -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**» فإذا حصل منك يا عبد الله ما ذكرناه من جماع أسباب صلاح القلب مما ذكرناه من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وجمعت علىٰ قلبك ما لا يغل عليه القلب من الإخلاص

---

(١) سورة: الحجرات الآية (٠٩).

ونصيحة الأئمة ولزوم الجماعة ثم جاء منك العفو، وجاء منك أن تجزي بالحسنة السيئة، وتسعىٰ بالإصلاح ثم تبتعد عن أعظم أسباب ما يوغر الصدور، وهي تقوم علىٰ أربعة أمور أذكرها ذكرا؛ لأن أساس فساد القلوب الأربعة أشياء، ومنها يتفرع جميع الأمور التي نهىٰ عنها الشرع:

أولها وأعظمها: خلو القلب من الإيمان، وقد تقدم لكم أن في الجسد مضغة لن يستقيم إيمان عبد حتىٰ يستقيم قلبه.

الأمر الثاني: هو الغضب كما أمر النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- من قال: أوصني. قال: «**لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب**» لأن النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أخبر أن الشيطان يئس أن يعبده المصلّون في جزيرة العرب ولكن رضي بالتحريش بينهم، فإذا غضب المسلم ربما كفر بالله، وربما قتل، وربما قطع رحمه.

الأمر الثالث هو الجهل.

الأمر الرابع: الظلم كما قال الله عز وجل: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1] فإذا تعديت هٰذه الأمور الأربع.

إذن الشرك ثم الجهل ثم الظلم ثم الغضب وما يترتب علىٰ هٰذا الظلم من بغي وحسد وغيبة ونميمة فاعلم أن قلبك ممن سلم فصار كما قال الله -عز وجل- فيما ذكرنا في أول الكلمة ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[2].

نسأل الله -عز وجل- رب العرش العظيم أن يجعل قلوبنا سليمة، اللهم أصلح قلوبنا، وأصلح ذات بيننا.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين اللهم إنا نسألك أن تحيينا علىٰ

---

(١) سورة: الأحزاب الآية (٧٢).

(٢) سورة: الشعراء الآية (٨٩).

الإسلام، وأن تتوفانا علىٰ الإيمان، اللهم اجعلنا يا حي يا قيوم ممن يقول القول فيتبع أحسنه، ويسمع القول فيتبع أحسنه، إنك ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

تعليق فضيلة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله- علىٰ المحاضرة

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا وعلىٰ آله وعلىٰ صحابته أجمعين.

أما بعد .

هـٰذه محاضرة عنوانها أسباب سلامة القلب، تحدث الدكتور عصام السناني عن هـٰذا الموضوع بحديث مستفيض وبحديث موفٍ للمقام وبحديث مستوفٍ لكل ما تقتضيه معنىٰ هـٰذه الكلمة؛ من آي قرآني وسنة نبوية وآثار عن سلف الأمة وخيارها.

والحقيقة أنّ هـٰذا الموضوع من الموضوعات الهامة التي لا بد أن يذكر بها الإنسان دائما وأبدا؛ لأن العبد إذا تذكر

أسباب سلامة القلب وأسباب سُقمه ومرضه استبان له الحق وعرف الهدىٰ وسار علىٰ الطريق المستقيم.

الله -جل وعلا- ذكر أن القلب يمرض، وأن القلب يكون سليمًا، فقال في حق المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ النفاق ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾ وعاقبهم بأن ضاعف عليهم الله البلاء وتابع عليهم الشر؛ لكونهم عدلوا عن الطريق المستقيم وصار في قلوبهم مرض النفاق إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وقال جل وعلا: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾[2] ذلك أن الأمر القلبي لا يطّلع عليه إلا الله؛ لكن قد يكون هناك علامات وإشارات تُملي أحيانا عن

---

(١) سورة: البقرة الآية (١٠).

(٢) سورة: محمد الآية (٢٩).

ما اشتمل القلب عليه من المرض ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾[1] فالمنافقون الذين مرضت قلوبهم وما أثر فيها إيمان، وما نفع فيها النصح، هٰذه قلوب مريضة، وإذا مرضت القلوب تقاعدت الجوارح عن العمل وقل الأداء وضعف الأداء، وإذا أُدِّي العمل أُدي صورة لا حقيقة لها، إن القلب يكون سليمًا كما قال الله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[2] يعني سلم من كل شبهة تضعف سيره إلىٰ الله، ومن كل شبهة يعارض بها شرع الله، فكم من أمراض الشبهات والشهوات، وقال جل وعلا: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ

---

(١) سورة: محمد الآية (٣٠).

(٢) سورة: الشعراء الآية (٨٩).

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾[1]، فنهىٰ المرأة المسلمة عن الخضوع والذل في القول خوفًا عليها من طمع مريض القلب بالشهوات الذي تحلِّق شهوته بهٰذه الكلمات والخضوع في القول.

أيها الإخوة..

إنّ القلب مركز الإيمان، فالإيمان اعتقاد القلب، نطق اللسان، عمل الجوارح، فإذا سلم القلب وصح واستنار بنور الإيمان قال قولا حسنا وعمل عملا حسنا، وعندما يضعف الإيمان في القلب تسوء الأعمال، وتفاوت الناس في الإيمان علىٰ قدر ما قام بقلوبهم، ولهٰذا في الحديث «**إن العبد ليصلي الصلاة ولا يكتب له إلا نصفها، إلا ثلثها، إلا ربعها**» حتىٰ قال: «**إلا عشرها**» هم في صف واحد القيام واحد والركوع

---

(١) سورة: الأحزاب الآية (٣٢).

واحد والسجود واحد، والجلوس والانصراف واحد؛ لكن بين قلوبهم كما بين السماء والأرض، فقلب أقبل علىٰ السماع واستحضر القراءة وتدبرها، وأحسن أذكار الركوع والسجود، وما بين الركوع والسجود، وما بين السجدتين والتشهدين أحسنهما فخرج من صلاته سليم القلب قد كفّرت صلاته صغائر ذنوبه، وأحد يدخل الصلاة ويخرج منها ما ذاق لها طعما، ولا وجد لذة، في غفلة يكبر مع الإمام وينصرف من ذلك .. والقلب الأخير غافل، قال بعض السلف لما رأىٰ من يعبث في صلاته: لو خشع قلب هـٰذا لخشعت جوارحه. والقلب إذا عُمِّر بطاعة الله وقوي فيه اليقين والتعلق بالله والخضوع لله، واليقين بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وتعلق القلب بالله في طلب الخير والرزق، فإن هـٰذا هو القلب السليم المرتاح، والقلب إذا تعلّق بالمخلوقين وما بأيدي

المخلوقين.. قلب عبد علم الله منه الإخلاص والصدق ولذا قال الله: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾[1] ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ﴾[2] يوم أحد وقُتل من قتل من المسلمين يأتي أحد من المسلمين ليسعف ويسقي ماءً للجريح فيسأل عن حال رسول الله.

أنظروا في حاله، إنما اهتم برسول الله، هؤلاء القوم الذين جاهدوا في الله حق الجهاد... في كل أحوالهم.

وقد أشار الشيخ المحاضر إلىٰ أسباب سلامة القلب بعد الإيمان والإخلاص من سلامته من الغل والحسد والبغضاء.. ونحو ذلك، ولا شك أن هٰذه أمور لا بد منها للمسلم، وإن كنا نقع في كثير منها؛ لكن علىٰ المسلم أقل ما

---

(١) سورة: محمد الآية (٢١).

(٢) سورة: الأحزاب الآية (٢٣).

يكون أن يدارك نفسه، فلعل الله أن يعينه، ولهٰذا النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يحقره، التقوىٰ ها هنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» ...

وأخيرا نشكر الشيخ الفاضل فجزاه الله عما قال وقدم خيرا وصلىٰ الله علىٰ محمد .

۞۞۞۞

[أسئلة موجهة للشيخ عبد العزيز آل الشيخ]

سؤال (٠١): ...

الجـــواب: الله يقـــول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿١٧﴾[1] فالذي يحيي الأرض بعد موتها يحي القلوب بعد مرضها وموتها؛ لكن لمن أناب إلىٰ الله وأقبل علىٰ الله وانتفع بالقرآن وتأثر بالأعمال الصالحة..

سؤال (٠١): كيف نجمع بين سلامة القلب والولاء والبراء؟

الجواب: سلامة القلب ليس معناه أنك يعني لا تبغض، تحب في الله وتبغض في الله؛ لٰكن بغضك لمن تبغض في اللهمن حكّم غير شرع الله، وأبغضت من لا يكفر اليهود والنصارىٰ ويقول: إن تكفير اليهود والنصارىٰ خرافة وتخريب للمجتمعات، إذا أبغضتهم، ما كان منشأ البغض هوىٰ النفس، وإنما أبغضتهم لأن الله يبغضهم، وما كرهتهم إلا لأن الله يكرههم، وما آذيتهم إلا أنهم أعداء لله، فعملي

---

(١) سورة: الحديد الآيات (١٦-١٧).

هٰذا مطبق شرع الله، ليس بيني وبينهم أمور دنيوية، لٰكن بيني وبينهم أنهم ارتكبوا ما خالف أمر الله واتبعوا سخط الله، فأنا أبغضهم لمخالفتهم لشرع الله.

سؤال (٠٣):.....

الجواب: المسلم إذا علم أن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حرم الذهب علىٰ الرجال جاء في الصحيح: أن رجلا جاء بخاتم من ذهب فألقاه النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال: «**يعمد أحدكم إلىٰ جمرة من النار فيضعها في يده**» فقيل له: خذ خاتمك. قال: لا، بعد أن رماها رسول الله!

اعلم أن تحلي الرجل بالذهب حرام في ساعة أو في خاتم أو قلم أو سلسال.

سؤال (٠٤): معي زملاء في العمل لا يصلون كيف أتعامل معهم؟

الجواب: إن كانوا مسلمين يشهدون ألا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله فعليك بنصيحتهم، وتذكيرهم أن إيمانهم بالله ورسوله لا يتم إلا بالصلاة، وأنهم إن تركوا الصلاة فالإيمان غير مقبول، واقرأ عليهم قول الله: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[1] وقوله عن الكفار: إذا قيل لهم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[2] حذّرهم وقل لهم دعواكم الإسلام مع ترك الصلاة دعوىٰ كاذبة، لا يمكن إسلام إلا بالصلاة، حذرهم وانصحهم، واجعل كل كلمة في الطريق لعل الله أن يفتح علىٰ القلوب ويهديهم مما

---

(١) سورة: التوبة الآية (٥٤).

(٢) سورة: المدثر الآية (٤٢-٤٣).

هم فيه من الجهل.

سؤال (٠٥): هل صبغ الشعر بالحناء الأسود حرام؟

الجواب: والله من العلماء من يكره ذلك، وأن الصبغ بغير السواد أيسر.

سؤال (٠٦): حديث النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وإن رائحة الجنة لا تشم من مسيرة خمسمائة عام**» ما حكم من يستهزئ بهٰذا الحديث؟

الجواب: هؤلاء المستهزئون بين أمرين:

إمّا جاهلين بالله.

وإمّا إنسان في قلبه مرض.

إخبار النبي حق، معاذ الصحابي الجليل يقول يوم أحد يقول: إيه يا سعد: إيه لريح الجنة وإني لأجده من وراء أحد، هؤلاء القوم يقول ابن القيم: يحتمل أن الله عز وجل أطلعه

علىٰ ريح الجنة لما قرب انتقاله إليها، وأنه وجدها حسا أو قوة يقينه والإيمان به أن ذلك حق، إذا أخبر النبي بخبر علينا أن نؤمن ونصدق جازمين بصحته ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1].

سؤال (٠٧): إن لديه مشكلة أسرية يقول: أن لديهم اجتماع كل أربعاء، وأنهم في الاجتماع يواجهون أذية ومسبة من أقاربهم، هل يستمر في وصلهم؟

الجواب: هٰذا الاجتماع إن كان يؤدي إلىٰ التفرق والتراشق بالتهم لا يمكن اجتماع هٰذا، لا يمكن أن يحصل اجتماع إلا إذا وضع له خطة، وأن هٰذا الاجتماع يعين علىٰ التحام الأسرة وتكاتفهم وتعاونهم والتحام شملهم لكي يكون سببا للصلة، أما إذا كان اجتماعا فيه بذاءة في القول

---

(١) سورة: النجم الآيات (٣-٤).

وسوء فهم، فهٰذا قد يؤصل الشر، فإن يكن الاجتماع مرتبا منظما مقصود به الالتئام والتوافق، أما إذا كان يؤدي إلىٰ العكس فالجواب يكره.

سؤال (٠٨): هل يجوز أن يصف في صف ثالث مع أن الصف الثاني لم يكتمل؟

الجواب: هٰذا خلاف السّنة، النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**ألا تصفون كما تصفّ الملائكة قال: يتمون الصف الأول فالأول**» ويتراصون في الصفوف.

سؤال (٠٩): هل هنالك علامات أو دلائل يعرف الشخص من خلالها أنه مبتلىٰ أو معاقب من الله تعالىٰ؟

الجواب: أولا ليعلم أن الذنوب لها عقوبات شعرت بها أو لم تشعر؛ لٰكن أحيانا قد تكون العقوبة قلبية، تعاقب في قلبك تضعف خشيتك، يقل خوفك، يقل توكلك، تقل ثقتك بربك،

هٰذا من أعظم الأمراض.

يقول ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: لما قيل له: هلك من لم يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، قال هلك من لم يعرف قلبه المعروف ولم يعرف قلبه المنكر.

فالعقوبات الحسية أهون، محن وتزول؛ لٰكن العقوبات القلبية هي المصيبة -نسأل الله العافية- ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[1] نسأل الله العافية.

سؤال (١٠): ما هي التقوىٰ وكيف السبيل إليها؟ هل هي تَعصىٰ في هٰذا الزمن -زمن الفتن-؟.

---

(١) سورة: الأعراف الآية (١٤٦).

الجواب: التقوىٰ يسيرة، حقيقتها أن تجعل بينك وبين عقاب الله وقاية بفعل الأوامر واجتناب النواهي، والتقوىٰ كما هي في الأول فهي الآن موجودة وطريق الخير موجود يحتاج إلىٰ رغبة وقوة عزيمة، وإلا فالمؤمن إذا أقبل علىٰ الله سواء في اليوم أو أمس الكل سواء، فالاستقامة في هٰذه الأزمنة رغم المغريات والمشكلات الاستقامة والتقوىٰ في هٰذا الزمن له تميز كبير، نسأل الله أن يثبتنا علىٰ الحق.

سؤال (١١): سماحة الشيخ أحبك في الله أشهدك علىٰ توبتي هٰذه الليلة من ذنب كنت أفعله منذ عشرين عاما حرمت به قيام الليل وحلاوة المناجاة، أرجو من سماحتك التوجيه عن إيمان القلب وإيمان اللسان، وجزاك الله خيرا .

الجواب: أسأل الله أن يمن علي وعليك بالتوبة، وأن يقبل توبتنا وتوبتك، ولا شك أن قيام الليل كما قال لابن مسعود:

عجزنا عن قيام الليل، قال: قيدتكم خطاياكم، ألم تسمعوا الله يقول: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1] كانوا يعدون من حُرم قيام الليل أنه من المحرومين، نسأل الله أن يعيننا علىٰ أنفسنا.

الحقيقة أنك في جهاد؛ ولٰكن الموفق من وفقه الله، فيا أخي كونك شعرت بأن المعصية حالت بينك وبين لذة المناجاة، لا شك أن هٰذا نعمة من الله عليك، قال الحسن: إني لأعصي الله وأعرف ذلك في خُلق امرأتي ودابتي. هٰذه القلوب الحية، أما القلوب الميتة فما :

وما لجرح بميّت إيلام

سؤال (١٢): سماحة الشيخ هٰذا داعية يدّعي أنه سلفي

---

(١) سورة: التوبة الآية (٤٦).

ويقول أن أهل المذاهب الأربعة: أصدروا فتوىٰ بضلال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويطعن في الشيخ بن باز ويقول: أنه علىٰ عقيدة الوهابية وينصح بعقيدة الماتريدية والأشاعرة.

الجواب: أسأل الله أن يفتح علىٰ قلبه ليريه الحق علىٰ حقيقته، وإلا فالشيخ محمد رحمه الله بدعوته برسائل بثها وكتب ألفها، من قرأها علم أن عقيدة الرجل عقيدة النبي - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عقيدة المسلمين، عقيدة سليمة خالية من الإفراط والتفريط، عقيدة مبنية علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسوله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عقيدة بعيدة عن كل المؤثِّرات، وسطية في كل أحوالها؛ لٰكن هٰذا الرّجل جاهل بالدعوة؛ فلو قرأ الأصول الثلاثة وكتاب التّوحيد وكشف الشبهات، وقرأ العقيدة السليمة وما يضادها للشيخ ابن باز

لاستبان له الرشد وعلم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بريء وأن الشيخ ابن باز علىٰ طريقهم من أئمة الدعوة الذين لهم قدم راسخ في ذلك؛ لٰكن هؤلاء ما بين جاهل بالدعوة ملبَّس عليه وما بين متعصب تعصبا ضارا فإن الماتريدية وثنية وغلاة الأشاعرة دخل عليهم مع التأويل شيء من الشرك، كثير من العالم الإسلامي فشا فيهم الشرك وتعظيم القبور والطواف بها والاستغاثة بأربابها ودعاؤهم من دون نعوذ بالله من السوء.

۞۞۞۞